طلعنا عالحريّة

حرية.مواطنة.كرامة

جريدة نصف شهرية تصدر عن لجان التنسيق المحلية

العدد 42

2014 / 8 / 9

ملف العدد

عن الهدن والمصالحات

على كفّ عفريت!

افتتاحية بقلم

أسامه نصار

بعيداً عن التقسيم الجغرافي لسوريا الذي أصبح محتملاً في الأذهان بعد أن كان محالاً، هناك تقسيم أو (تصنيف) واقع بالفعل بحسب الجهة المسيطرة على الأرض. السيطرة "على الأرض" وعلى الأرض فقط وليس بالضرورة على السماء أو خيرات هذه الأرض أو على الأمر الأهم من كل ذلك: قلوب الناس. فهناك أراضٍ تحت سيطرة النظام وأراضٍ تحت سيطرة المعارضة (كلٌّ مَنْ يقول إنّه يعارض النظام خلاف داعش) وأراضٍ تحت سيطرة داعش وحدها. استمرّ النظام بعد سنتين من الثورة، بمحاولة تطويقها، ولكن من خلال عقد الهُدن والمصالحات التي خلق لها وزارة خاصة بـ (المصالحة الوطنية) ضمن حكومته، ليظهر أمام العالم على أنّه الأب الذي يستوعب ابنه العاقّ ويحتويه مع إخوته، فيعيدهم جميعاً إلى "حضنه".

يختلف المراقبون في النظر إلى ظاهرة الهدن؛ ليرى بعضهم أنها ضرورة يفرضها الواقع حتى لو خالفت الأماني، والبعض الآخر يعرضه على أنّه انتصار لأحد الطرفين على الآخر. فيما لا يعدو بعض ما سُمي (هدنة) عن كونه هزيمة عسكرية تقليدية لأحد الطرفين أو لكليهما!! وفي كلّ الحالات تبدو هذه الهُدن غير ثابتة و(على كفّ عفريت). وصارت الحالة السورية بالنسبة للعنف والقتل كحالة (المحلول المُشبع) فقد بلغ العنف مداه، وأي إضافة كميّة أو نوعيّة من العنف لا تؤدي إلا إلى مزيد من الضحايا والآلام، دون تغيير حقيقي على المشهد الكلّي للمعركة أو نتائجها. وما تصنع التغييرات هي التحالفات الإقليمية والدولية وليس المقاتلون الذين ينفذون -بقصد أو بغير قصد- إرادات أعلى منهم. والسوريون نظاماً ومعارضة و "بين وبين"، مقاتلين وسياسيين ونشطاء مدنيين، أصبحوا ضيوفاً على قضيتهم، ولم يعودوا الفاعل والمحرك الأساسي لها للأسف.

زرع النظام في بداية الثورة طعماً بلعه كثير من الثائرين، عندما كان يستقبل الوفود من المناطق السورية الثائرة ليستمع لمطالبها كما زعم. في حين كان هدفه الحقيقي هو تفتيت الموقف وتجزيؤه، وتحويل الشعب السوري إلى "شِيع" وطوائف ومناطق لا يتداعى سائرها إلى بعضها ولا حتى بعضها إلى بعضها. فيصبح بناءً على طرحه ما يخصّ درعا لا يخصّ حمص، وما يُتفق عليه مع أهالي قدسيا لا علاقة له بأهالي ريف حلب، وتهادن معضمية الشام دون جارتها داريا، وتسمع عن هدنة وشيكة في عربين وحمورية على غرار هدنة حرستا (غرب الاستراد) دون باقي الغوطة الشرقية. ويقول المتعبون ممن بقي في حرستا (شرق الاستراد): "يا ليت لنا مثل ما أوتي من في غربه".

نحاول في ملف هذا العدد مقاربة هذه المسألة من عدة وجهات، فلا شيء يؤرقنا اليوم أكثر من السؤال: هل يستطيع السوريون -أمام كل هذا الخراب- استعادة دورهم وقضيتهم؟

طلعنا عالحرية
جريدة نصف شهرية تصدر عن لجان التنسيق المحلية في سوريا تعنى بشؤون الثورة تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
للنشر في الجريدة
newspaper.lcc@gmail.com
المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.
لجان التنسيق المحلية
Local Coordination Commitees
www.facebook.com/LCCSy?sk=info
www.lccsyria.org
lcc.syrianr@gmail.com
lcc.news.syria@gmail.com

حول المصالحة

د. محمد العمّار

يتحدث (ساسة) النظام وإعلامه عن المصالحة الوطنية كثيراً، لكن هذا الحديث لم ينتج عنه شيء خلال السنوات الماضية من عمر الثورة، ذلك أن النظام حتى تاريخه رغم ما جرّه على البلاد والعباد من ويلات وخراب ودماء ودمار، لم يتوقف لحظة للمراجعة والنقد، أو إعادة التقييم.

وفي آخر لقاء لي مع أحد الرؤوس الحامية في النظام خلال اعتقالي قال لي -وكان قد التقى بي قبل عام في بداية الثورة-: إنك لم تتغير أبداً ، فقلت له ولماذا أتغير وقد حدث كلّ ما حذرتك منه، أنت الذي عليك أن تتغير فقال ولماذا أتغير أنا؟ فقلت له إن عاماً من الفشل والتراجع المستمر يعلم الكثير لمن يريد أن يتعلم، فلم يجبني وأخذ يجادل في صدقيّة قراءة النظام للحدث.

وبما أن النظام حتى تاريخه لم يجر أي نوع من المراجعة وإعادة التقييم لما فعله خلال السنوات السابقة، فكل حديث عن المصالحة هو نوع من البروباغندا التي لن يكون وراءها طائل لنظام خسر ويخسر كل يوم مواقع سيطرته، وهو في تراجع دائم رغم نجاحات يحققها بين الفينة والأخرى، لكن هذه القراءة الخاطئة للتاريخ وما ينتج عنها من إجراءات وما تتطلبه من أثمان تدفع من رصيد السوريين حاضراً ومستقبلاً، تتطلب فعلاً المراجعة والنقد وتغيير الاتجاه. الأمر الذي عجز عنه النظام خلال الفترة الماضية.

إن المصالحة فيما أتصور ضرورية وممكنة وسيربح منها الجميع، حتى أمراء الحرب، وسيربح منها السوريون والمحيط الإقليمي والنظام الدولي أيضاً. لكن يبدو أن النظام السوري برموزه وقيادته خرج من دائرة التأثير على اتجاهات الحدث السوري منذ زمن، وأصبح الملف السوري برمته بأيادٍ غير سورية ويستخدم لخدمة ملفات لا علاقة لها بمصالح السوريين ومستقبلهم.

إن المصالحة فيما أتصور ضرورية وممكنة وسيربح منها الجميع حتى أمراء الحرب.. إلا أن النظام السوري برموزه وقيادته خرج من دائرة التأثير على اتجاهات الحدث السوري

وكان باستطاعة النظام في بداية الثورة أن يضع حداً للتدخل الخارجي، وأن يغير اتجاهات الحدث في سوريا من خلال مبادرة تملك الجرأة الأدبية وتتحلّى بالمسؤولية الأخلاقية؛ فتعترف بالثورة السورية كحدث وطني، وتنظر في مطالب السوريين ومشروعيتها وهي تتطلع إلى مستقبل سوريا.

إن النظر بواقعية إلى اتجاهات الأحداث في سوريا، يدل على أن النظام سيكون رابحاً جداً إن تمكن من الخروج بأي صفقة مع الشعب، فقوة الشعب غلاّبة وإرادة الشعب من إرادة الله، وأي صفقة مهما تكن أفضل من الهزيمة النهائية، إذ حتى الصفقات التي تبدو خاسرة تتضمن بعض الاشتراطات، وتحتوي بعض الضمانات.

وكنت قد وجهت رسالة مفتوحة في بداية سنة 2011 مفادها: (إن الثورة السورية حقيقة يجب أن نكيف عقولنا على الاعتراف بها، وهي حدث سياسي ولذلك يجب أن يتم الإعلان عن المصالحة كمبادرة سياسية وليس كإجراءات وترتيبات أمنية. وهي حدث وطني ولذلك يجب أن يكون الحديث عن المصالحة كمبادرة على مستوى الوطن، وليس لتبريد جبهات، ومصالحات جزئية الغاية منها كسب الوقت وتشتيت الجهد وإثارة النزاعات بين مقاتلي الثورة. كما أن الثورة السورية ثورة شعبية عامة، ولذلك يجب أن يكون الحديث عنها عاماً. لذا، يتعين على رئيس النظام أن يعلن عبر خطاب يوجهه للشعب -الذي ما زال يتجاهله منذ بداية الثورة- عن مبادرة سياسية للمصالحة على مستوى الوطن تتكون من النقاط التالية:

تتمة في الصفحة 18

الشيخ والهدنة

علي فاروق

نشأ (ع.ص) في أسرة محافظة متدينة في منطقة قريبة من العاصمة دمشق، انتسب في صغره إلى معهد لتحفيظ القرآن الكريم، واستمر مواظباً على حضور "دروس العلم" حتى حصوله على شهادة التعليم الثانوي، وعندها قرر الانتساب إلى إحدى الكليات الشرعية بدمشق، وبعد إتمامه لسنوات الدراسة المقررة التحق بالخدمة العسكرية، وأثناء العام الثاني في خدمته اندلعت الثورة، فقرر الانشقاق عن قوات النظام والعودة إلى مدينته، ثم انضم إلى إحدى المجموعات العسكرية، وشارك في عدة عمليات إلى أن أصبح مسؤولاً عسكرياً، وكان ذلك في العام الثالث للثورة، وبعدما عُقدت "هدنةٌ" في مدينته.

> "المعارضة انكفأت عن أداء دورها المطلوب وكان الأجدر بها الانخراط في موضوع "الهدن" لتحديد خطوطها العامة بهدف الخروج منها بأكبر مكاسب ممكنة، اقلها الإفراج عن المعتقلين، وضمان وصول المواد الغذائية والطبية لجميع المناطق المحاصرة"

كان النظام السوري قد لجأ منذ منتصف العام 2013 إلى عقد وفرض "الهدن" و "المصالحات الوطنية" على المناطق الثائرة، وكان ذلك يجري في إطار خطة تهدف إلى القضاء على الثورة تدريجياً، بإشغال الثوار بالنواحي المتعلقة بإدارة حياة السكان وتأمين الموارد في المناطق الثائرة.

ولإتمام "المصالحات" أو "الهدن" داخلياً لا بد أن تقوم جهاتٌ محليةٌ بمساعدة النظام على تحقيقها، وتلك الجهات تتمثل في من يدعون اليوم بـ "الوسطاء" أو "الوجهاء" والذين يتكونون من عدة فئات: حزبيون، وتجار، ورجال دين، وهم تقريباً الفئات نفسها التي استدعيت في بداية الثورة للقاء رئيس النظام ورؤساء الأجهزة الأمنية.

وفيما لا يخفي الكثير من الحزبيين والتجار أهدافهم من وراء سعيهم لإتمام "الهدن" والتي تلتقي مع أهداف النظام في القضاء على الثورة، يحاول بعض رجال الدين جهدهم لإخفاء أهدافهم الحقيقية والتي لا تختلف عن أهداف النظام أيضاً، وإن حاولوا الادعاء بأنهم يعملون رغبةً في إنقاذ أرواح الناس والحفاظ على أملاكهم وأعراضهم، وسعياً للحفاظ على ما تبقى من الدولة ومؤسساتها.

وعن دور بعض رجال الدين في إبرام "الهدن"، يقول (ع.ص) طالب العلم الشرعي السابق والقائد العسكري الحالي: تكشفت لي حقيقة دور بعض رجال الدين قبل الثورة بعدة سنوات، وكان ذلك حين استدعاني يوماً (الشيخ) مع صديقين آخرين، وطلب إلينا بشكل غير مباشر "التعاون" مع أجهزة الأمن في مراقبة بعض السلفيين، (ع.ص) رفض تنفيذ ما طلبه الشيخ، وبدأ يبتعد عن ذلك (الشيخ) الذي رُقي بعد الثورة لمنصب "مفتي".

ويؤكد (ع.ص) على الدور السلبي الذي يلعبه بعض رجال الدين في المجتمع، وهو ما لا يقتصر على دين أو طائفة معينة، بل يشمل رجال الدين المسلمين والمسيحيين على السواء وبمختلف طوائفهم ومذاهبهم، فبعضهم يحمل حقداً مضاعفاً على الثورة بعدما أفقدتهم دورهم في المجتمع، بسبب انكشاف زيف خطاباتهم وادعاءاتهم، وانفضاح حقيقة ارتباطاتهم.

وعن "الهدن" يقول (ع.ص): أن النظام يستهدف من وراءها تحقيق عدة أهداف في وقت واحد، منها:

- سعيه لاستعادة شرعية يفتقدها وذلك عن طريق إعادة إنتاج نفسه كقوة وحيدة موجودة متحكمة بمؤسسات الدولة ومواردها، وعلى من يرغب بالاستمرار أن يلجأ إليه للحصول على الخدمات والموارد.
- ومن خلال الهدف السابق يكرس النظام طريقته في التعامل من أعلى مع المنتفضين عليه كمعطي أو مانح أو مانع حين يشاء.
- كما يسعى إلى تفريغ الثورة من مضمونها السياسي بحصر سقف المطالب الشعبية بالأمور المحلية والحياتية.
- ويسعى أيضاً إلى نقل عبء المسؤولية السياسية والقانونية

والاجتماعية عن أرواح الناس وتأمين موارد ومستلزمات حياتهم إلى الأطراف المعارضة الفاعلة في المناطق المحررة، وبذلك يتخلى عن أهم مسؤولية يجب عليه تحملها باعتباره يدعي تمثيل الدولة.

- ويسعى أخيراً إلى استخدام تلك "الهدن" لفرض الحل السياسي وفق رؤيته، بما يضمن بقاءه.

لكن القائد (ع.ص) يؤكد أيضاً على عدم وجود حلول أخرى مطروحة لمواجهة حصار وتجويع المدنيين في المناطق الثائرة، كما يضيف: إن الدور المتعاظم لـ "الوجهاء" و "الوسطاء" المحسوبين على النظام إنما سببه هروب معظم رجال الدين والتجار والنشطاء السلميين الذين كانوا يؤيدون الثورة إلى خارج البلاد، وهم من كان يمكن الاعتماد عليهم لتشكيل وفود تمثيل المناطق، وانكفاء مؤسسات المعارضة عن أداء دورها المطلوب، وقد كان الأجدر بها الانخراط في موضوع "الهدن" لتحديد خطوطها العامة بهدف الخروج منها بأكبر مكاسب ممكنة، لا سيما في الإفراج عن المعتقلين، وضمان وصول المواد الغذائية والطبية لجميع المناطق المحاصرة، مثلاً.

وأما التفاوض فقد كان متعذراً كما يقول (ع.ص) لأن النظام لا يطرح تلك "المصالحات" على أساس تفاوضي بل بطريقة إملاء الشروط، والتي لا يستطيع المقاتلون رفضها في ظل اختلال موازين القوى لصالح النظام، وبالتأكيد فقد لعب "الوجهاء" دوراً مهماً في وصول النظام إلى غاياته.

من جانبه يقول الشيخ (ع.م) رئيس لجنة المصالحة في إحدى ضواحي دمشق، وهو مدرسٌ دينيٌ تتلمذ عليه سابقاً القائد العسكري (ع.ص)، أن تلك "المصالحات" هي لإنقاذ أرواح الناس، وصون ممتلكاتهم، وإعادة المهجرين إلى بيوتهم ومدنهم، ويبرر ذلك بأقوالٍ عن فقه الضرورة، وعن اختلال الموازين. والشيخ المذكور ليس من مؤيدي النظام على ما نعرف عنه، لكنه لا يخفي التزامه التام بنهج "المفتي" الذي يعمل بدوره لخدمة النظام.

وبسؤالنا للشيخ (ع.م) عن "هدنة" مدينة داريا التي يتوسط لها "المفتي"، لم يكن جوابه واضحاً، لكنه أكد أن المفاوضات قد وصلت إلى مراحل متقدمة، وأن إبرامها والإعلان عنها سيكون قريباً جداً. وربما تكون "هدنة" مدينة داريا - فيما لو حصلت - أول "هدنة" حقيقية، فالمفاوضون هم ممثلون حقيقيون لثوار المدينة على عكس الكثير من المناطق الأخرى التي عقدت "تسويات" لا هدناً" وبشروط النظام وحده، ويتمسك ثوار داريا بشرطين أساسيين، هما: الإفراج عن جميع المعتقلين، وانسحاب الجيش من المدينة، وغيرها.

وبكل الأحوال ما لم توجد إستراتيجيةٌ عامةٌ يتفق عليها الثوار وكيانات المعارضة السياسية لمواجهة أهداف النظام ومخططاته التي يسعى لتمريرها عبر "المصالحات الوطنية"، فإن شيئاً إيجابياً لن يتحقق عبرها، وسيظل النظام فاعلاً فيما تكتفي الثورة وممثلوها بردود الفعل.

قسوة داعش.. وقسوة العالم

ماهر مسعود

من الصحيح أن الموت واحد، ولكن أيهما أقسى، أن تطعن بخنجر أو تقتل برصاصة؟. يجيب الرأي العام و"الحس المشترك" بأن الموت بطعنة خنجر أقسى وأكثر فظاعة من الموت برصاصة. وعليه يمكن اعتبار القسوة من النوع الأول قسوة حسية مشخصة، بينما قسوة النوع الثاني هي قسوة مجردة.

القسوة الحسية هي شعورك باقتراف اليدين للمجزرة، شعورك بآلام الضحية و"متعتك" السادية بذبحه، واندماجك معه بطعم الدم، عودتك الثقيلة للبربرية والهمجية والبدائية. بينما تكون القسوة المجردة بانفصالك شبه المطلق عن الضحية، فتطلق الصاروخ وأنت تدخن سيجارة، أو ترتكب المجزرة بكبسة زر، تقتل دون أدنى شعور بتأنيب الضمير وتمارس حياتك كأن شيئاً لم يكن، تعطي أمراً بإبادة حي أو قرية وأنت تضحك، ثم ترتدي ياقتك وتخرج مع عائلتك وأطفالك لزيارة أطفال الآخرين اليتامى في الملاجئ، وتكرِّم بعدها أبناء الشهداء الذين قتلوا بأمرك دون أن تراهم.

يخطب أبو بكر البغدادي "خليفة المسلمين" الجديد بجدية واضحة ووجه متجهم، بينما يقوم جنوده "المُصطَفين"؛ الذين كانوا رفاقاً له في أيام القتال الأولى، بقطع الرؤوس وتعليقها فوق أسيجة الحدائق، وصلب

"المفسدين" وتعليقهم في الساحات، ورجم النساء "المحصنات" بعد خروجهن عن الحصن المنيع للزواج الهش.

بينما يخطب الرئيس السوري بطريقة ثقافوية أكثر ليونة وأقل تجهّماً، دون أن تخلو "المحاضرة" من روح الدعابة والسخرية والضحك، في الوقت الذي تضرب قواته المأمورة بأمره؛ لكن المعتادة على "الأخطاء الفردية"، البراميل المتفجرة على المدنيين من "قليلي التربية"، وتقتل الأطفال "المخطوفين من الساحل" بالسلاح الكيماوي، ويغتصب سجانوه النساء المحصنات وغير المحصنات سراً وبلا مشهديّة، في الوقت الذي يتسلى عناصر الأمن في أوقات فراغهم بقتل المعتقلين في أقبية السجون، بعيداً عن أعين الناس وحواس المشاهدين في سوريا والعالم.

كان النظام قد زرع في السوريين هذا النوع من القسوة المجردة والانفصال الأخلاقي عن المشكلات التي تعتريهم أو تخص بلدهم، عبر تحويل مشاعرهم الخاصة إلى نوع من السياسة والحسابات السياسية، فقد انتشرت جداً، لاسيما في العام الأول للثورة، عبارات من نوع "بلاها درعا، أو بلاها حمص، أو لتتحول حمص لمزرعة بطاطا.. الخ"، فما يحدث في سوريا وفي غير مكان من العالم لم يكن ليعني جميع السوريين بوصفهم "شعب"، وذلك لا لأنهم غير معنيين إنسانياً وأخلاقياً "بالآخر" فحسب، بل لأن اندفاعهم شبه الغريزي في الفترة الطويلة للتدجين البعثي كان يتجه فورا للبحث عن تبريرات الظلم، بدل نقده وإدانته ومحاولة تغييره، وبالتالي الشعور بالمسؤولية الأخلاقية عن منع وقوعه.

ربما يتساءل السوري الغارق في ضياعه اليوم، لماذا نخاف مقاتلاً يحمل تصورات بدائية عن العالم، ويتصرف بطريقة بدائية وجنون قهري، فيلتقط صورة لنفسه وهو يحمل رأس بشري مقطوع أو يأكل قلب رجل يراه عدواً في المعركة، ويقل خوفنا

عندما نرى مقاتلاً في جيش نظامي، أليس لأن هذا الأخير هو ابن مؤسسة منظمة وهرمية و"حضارية"؟. حسناً لنقل أن لاعقلانية داعش تتجلى في القتل المبني على أسس شرعية لم يعد أي من تلك الأسس شرعياً أو قانونياً قياساً بالحضارة والمحرز البشري، كقتل الناس بهمجية السيف والعمليات الانتحارية، وهو قتلٌ خارج قوانين الحرب المعاصرة ومؤسسة الجيش التابعة لكيان عقلاني هو الدولة، أليس المفروض بتلك الدولة أن تحكم بالقانون الموضوعي قياساً بأفرادها، وتحتكم للقانون الدولي قياساً بالعالم؟. ولكن ماذا عندما تصبح الدولة ككل هي كيان لاعقلاني ولا مؤسساتي وغير خاضع للقانون، لا بالمعنى الداخلي ولا الدولي، وعندما يصبح جيشها هو مؤسسة لقتل أفرادها بالبراميل المتفجرة، ومؤسسة "للتعفيش" وسرقة بيوت المدنيين المهجورة، وماذا عندما يكون العالم شريكاً لهذه الدولة وقابلاً لوجودها ومعترفاً بشرعيتها، وعندما يكون العالم شريكاً بالقهر واللامعقول الذي يصيبنا!.

لنقل بوضوح، خارج النسبية التي عممها نظام البعث، واللا أدريون في السياسة، ومثقفي السلطة واليسار المهزوم: إنه بغض النظر عن عدالة قضيتنا، وهي عادلة، فإن السوريون اليوم لم يعودوا ليأملوا من العالم الوقوف مع العدل، هذا أكبر من أحلامنا، بل الوقوف ضد الطغيان على ما هو عادل ليس إلا، الطغيان وقد بات إرهاباً لا معقولاً يهدد أبسط شروط العيش والحق في العيش، الطغيان باسم الحضارة وأدوات الحضارة على أبسط مكتسبات الحضارة ذاتها، أي الحق في الحياة والحرية، والحق في الصحة والتعليم وتربية الأطفال، الحق في تقرير المصير خارج البراميل والكيماوي والسكود وقطع الرؤوس ورجم النساء والموت تحت التعذيب.

غالباً ما نرى أن الخوف المحلي والرهبة العالمية من الصور الداعشية، ليست سوى الخوف من البدائية القابعة في كل منّا، الخوف من قلب الصورة المجردة لقسوتنا، مما يعرّينا ويعطينا مرآة عاكسة لحقيقتنا وزيف القشرة الحضارية التي نتلطى خلفها هرباً من تلك الحقيقة.

داعش هي مرآة تخاذلنا، وتخاذل العالم المعاصر أمام قيمه التي بنت حداثته ومعاصرته، وأمام الخط الأدنى للإنسانية الذي دنت تحته السلطة اللامعقولة في سوريا، وجعلت من لا معقوله واقعاً عادياً رغم تجاوزه لمؤلفات الرعب وخيالات العذاب والموت المكرر في جحيم القصص الديني والأسطوري.

الإدارة البراغماتية لداعش تستقطب الناس للهجرة إليها

رامي العاشق

يهاجر عدد من الشباب السوريين من المناطق التي تسيطر عليها قوات المعارضة السورية يوميّا باتجاه ولاية الرقّة -حسب تقسيمات الدولة الإسلامية "داعش"- بحثًا عن العمل، بعد أن صدموا بوعود لم تطبّق من الحكومة المؤقتة نصّت على تأمين آلاف الوظائف في الداخل السوري، وذهبت جلّها لأقارب الوزراء وموظفي الحكومة في عنتاب بحسب ناشطين عانوا من هذه الحالة.

يقول نور الدين الناشط السياسي الذي يتنقّل دائمًا بين تركيا والمناطق المحررة: «إن كل ما يجري هو انعكاس لوجود أشخاص أميّين في وظائف تحتاج لشهادات علميّة، المحسوبية والشللية ما تزال كما لو كنا في عهد الأسد، ترك الكفاءات العلمية تواجه مصيرها في الهجرة إلى داعش، أوروبّا، أو إلى النظام -إن لم يكن أحدهم مطلوبًا- هذا كله تتحمّل مسؤوليته الحكومة المؤقتة».

سكن وراتب للاجئين إلى داعش:

بمجرّد وصولك إلى الرقّة وانتمائك إلى هذه الدولة القائمة، تحصل على سكن و100 $ بالإضافة إلى مرتّبك الشهري الذي تعمل به هناك، يعلّق الناشط الإعلامي (ر.س):

-«هذا الأمر ينطبق على مبايعي الدولة، لا شيء يلزمهم في القتال، إلا أن الأمر يكمن في الانتماء، تمامًا كأن تكون نصيرًا في حزب البعث أو عضوًا عاملًا».

يضيف "سالم" المهاجر مؤخرًا إلى الرقّة مع عائلته:

- «تعمل داعش بطريقة ممنهجة، تبدأ بإرهاب الناس لتثبيت حكمها ثم تحوّل العمل في مناطقها إلى عمل مؤسساتي بعقلية براغماتيّة، تبدأ بتغيير إدارة المنطقة، وتنتهي بحاويات قمامة موحّدة، نظّموا الكهرباء حتى أصبحت تصل إلى كل المناطق بعدل وعينوا للكهرباء أميرًا فرنسيًا من أصول جزائرية يحمل شهادة دكتوراه في هندسة الكهرباء، فتحوا الأفران الخاصّة وجعلوا لها حصة من الطحين لتخفيف أزمة الخبز، المظاهر المسلّحة ممنوعة تمامًا في مناطقهم، كل ما تسمعه أو تراه هو مجرد مرحلة مؤقتة لترهيب الناس ونشر حالة إعلامية تفيد مخططهم، وبالمناسبة، هم لا يعدمون أحدًا في منطقته، ابن منبج يُعدم في الرقة وابن الرقة في الباب، نعم هم وحوش لكنهم يمتلكون مشروعًا يسعون إليه، وهذا ما لا تمتلكه المعارضة السورية».

داعش بخير.

مهندس سوري، يحمل شهادة ماجستير في الهندسة، وصل إلى الرقة منذ يومين، أول تعليق له كان:

- «الحمد لله أقوم بجولة بسيارتي في الرقة وغدًا سأذهب إلى دير الزور، الوضع جيد جدًا نظام رائع شبيه بالعاصمة قبل الثورة! الساعة الثانية بعد منتصف الليل،

والأسواق مفتوحة، الأطفال في الطرقات كأنّك في شارع الحمرا» يتحدّث الكثير من الشباب في المناطق المحررة ومناطق اللجوء عن ضياع مستقبلهم، ولا سبيل لديهم سوى الهجرة إلى أي مكان يوفّر لهم العيش، لذلك لجأ بعض رجال الأعمال إلى افتتاح معامل جديدة في الرقة، ويرجع أبو محمد الذي يعمل في أحد هذه المعامل السبب إلى اقتصاد الرقة القوي وعدد السكان الكبير وتوفّر وسائل الحياة فيها، ويضيف:

- «طالما أنت ضمن حدود الدين الإسلامي ولا تتجاوز، فأنت بخير».

من النصرة إلى الدولة

"المهاجرون" التعبير الإسلامي عن المقاتلين الأجانب الذين أتوا للجهاد في سوريا انقسموا بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة، انشقّ الكثير منهم عن النصرة وانضمّوا للدولة بسبب "عدم تطبيق الشريعة ووجود لصوص وقطاع طرق فيها" بحسب الدكتور أبو خالد الطبيب الميداني الذي يعمل في المستشفى الوطني في الرقة، ويتابع:

- «كذلك الأمر بالنسبة لفصائل الجيش الحر، فالكثير منهم من خلفية سلفيّة جهاديّة وقدّ سئموا من كذب أحرار الشام وغيرها، والدولة الإسلامية تناسب فكرهم خاصّة بعد معركة كسب التي قتل فيها 500 مجاهد من النصرة أي أنّهم فهموا اللعبة، كما أنهم يعتبرون مشروع الدولة مشروعًا حقيقيّا يتناسب مع توجهاتهم».

يرى الدكتور أن مشروع التقسيم قائم حاليًّا بالسياسة التي يتبعها الأسد ونظامه، وتأكّد من ذلك بعد أن قررت تركيا إدخال المساعدات إلى المناطق المحررة، بذلك أصبحت سوريا عبارة عن دولتين إضافة لدولة الخلافة!

إدارة براغماتيّة لمؤسسات الدولة!

يتّفق سالم مع الدكتور على عقليّة إدارة المنطقة البراغماتية، إلا أن الدكتور يدخل في التفاصيل:

- «إدارة المشفى الوطني هي الجناح الطبّي للدولة، جميعهم أطبّاء، وضعوا برنامجًا محددًا للمناوبات ونظّموه ووضعوا قانون عقوبات، بينما أحرار الشام كانت تدير الملف الطبي بفصيل عسكري وصل به الأمر مرة لضرب الأطبّاء! سيطرت الدولة على المشفى وعزلت مديره الدكتور عادل حاج حسن، وعيّنوا فجأة الدكتور صالح عقيلي وهو من الأطباء المبايعين وعليه العديد من إشارات الاستفهام إحداها أن زوجته علويّة، وأحد أقاربه ضابط كبير في النظام، عزلت الدولة أمير الطبية السابق "أبو محمد" الذي استشهد منذ يومين بمعركة تحرير الفرقة 17، قال لي سابقًا إن فكر الدولة لم يكن متأصلا في نفسه».

أبناء البلد متعصّبون أكثر

افتتحت الدولة مكتبًا للاستفسار عن المعتقلين لديها، مهمّته أن يقول: إن الشخص الذي تسأل عنه ليس لدينا، أو أن يقول: ارفع بيتَ شِعر (خيمة) وافتح عزاءً له! يقول الدكتور:

- «إنّ هذا فكر القاعدة، ولم نكن نتوقع منهم أفضل، فرضوا النقاب ومنعوا التدخين والتجارة بالتبغ، وهذا جعل حالة تصادم مع الناس هنا، ثم أصبح يعتمد على الصدفة، قد يأتيك رجل يتحدث معك بأدب إن كنت مخالفًا -وهؤلاء غالبًا من المهاجرين- وقد يأتيك رجل يهينك ويمارس عليك أبشع أنواع الإذلال وهذا غالبًا من الأنصار أي أبناء البلد»

يؤكد أبو خالد أن الدولة أنقذت جبهة النصرة عندما حوصرت في معركة الساحل، إلا أن التنظيمين اقتتلا في دير الزور لأنها منطقة آبار نفط، ويرى أن استمرار الحال على هذا الشكل يعني بالضرورة خيار التقسيم وقيام دولة القاعدة بشكلها الحقيقي على الأراضي التي تسيطر عليها.

يتّفق كل الذين تحدّثوا إلينا على تحميل المعارضة السوريّة المسؤولية فيما وصل إليه الحال ويرون أن من يأتي إلى الرقّة يأتي ليعيش، وهنا تتوفّر وسائل العيش، قد لا تتوفّر الحرية والكرامة التي خرجت الثورة لأجلها، إلّا أن الخبز والأمان النسبي متوفّر لأطفالهم، وهذا ما اعتبره الإعلامي (ر. س) مصيبةً إذ قال: «أصحاب نظريّة "بدنا نعيش" يساهمون في توطيد حكم القاعدة كما ساهموا سابقًا بتوطيد حكم الأسد»، وهذا يتقاطع مع ما كتبته الناشطة خولة دنيا على صفحتها: «الدعاية الداعشية المتقنة تقدم الدولة الإسلامية باعتبارها المدينة الفاضلة، لكل الراغبين في تجربة العيش في كنف الإسلام، فيتقاطر الراغبون بها من كل حدبٍ وصوب ليعيشوا هذه التجربة التي تجمع في صورة واحدة بين منتجات الحداثة، وفكر الماضي وتشريعاته، تستقطب هذه التجربة كذلك كل الخارجين عن القانون في العالم، وكل الراغبين بالخروج عليه، كما كل المجرمين الذين يريدون ممارسة إجرامهم بعيدًا عن محاسبة القانون ورقابته. المشكلة في ناسنا، أن كثيرين مازالوا ينظرون لهذا كله على مبدأ: مات الخليفة، أدعو للخليفة الجديد في الجوامع!».

رابطة الصحفيين السوريين.. بين الواقع والمأمول

ليلى الصفدي

THE SYRIAN JOURNALISTS ASSOCIATION

رابطة الصحفيين السوريين

تسعى رابطة الصحفيين السوريين للسير قدماً على طريق المأسسة، وفي هذا السياق نظمت الرابطة خلال الأيام الماضية انتخابات جديدة وجدية لاختيار رئيسها وهيئتها الإدارية.

ومثلها مثل غالبية المؤسسات التي نشأت عقب الثورة تعرضت الرابطة للعديد من الهزات والانتقادات والاتهامات بالشللية وغيرها.. إلا أن الانتخابات الأخيرة والتي شارك بها ما يزيد عن 50% من الأعضاء كانت مرضية على ما يبدو حتى الآن وذلك رغم بعض الانسحابات من الهيئة المنتخبة والتي أشاد بها عديدون واعتبروها تعبيراً عن ثقافة جديدة ترتضي التنازل عن المناصب إفساحاً بالمجال للطاقات الجديدة والشابة.

إلا أن السؤال الأهم يبقى حول إنجازات الرابطة الفعلية حتى اليوم، الرابطة التي تأسست بتاريخ 20 شباط 2012 بعد ما يقارب العام من إنطلاق الثورة السورية.. ماذا قدمت للصحفيين السوريين.. للصحافة الجديدة.. وللقضية السورية عموماً..؟ في هذا السياق يجيب السيد "محمد فتوح" وهو الذي شغل منصب أمين سرّ الرابطة خلال الفترة الماضية، وأحد أعضاء الهيئة الإدارية المنتخبة:

"من حيث المبدأ، تمثل الرابطة أوسع إطار يجمع الصحفيين المحترفين المؤيدين للثورة السورية. وهو بحد ذاته إنجاز للصحافة السورية، حيث تمكنت الرابطة من تكوين نواة لجمع الصحفيين السوريين المنتشرين حول العالم، وبالتالي إيجاد فرصة للتنسيق بينهم حول القضايا السورية، وفتح المجال أمام بلورة جهود منسقة بين هؤلاء الصحفيين خدمة لقضايا بلادهم. علاوة على ذلك، شكلت الرابطة نقطة اتصال تلجأ إليها المؤسسات الإعلامية والصحفيون (سواء كان عبر إدارة الرابطة أم عبر أعضائها من خلال المساحات التي توفرها الرابطة للتواصل بين الأعضاء) للمساعدة في تأمين ضيوف للحديث حول قضايا محددة في الشأن السوري، أو الحصول على معلومات وإحصائيات حول الشأن الإعلامي في سورية".

ويضيف السيد فتوح: "لقد ساهمت الرابطة في التشجيع على صياغة مواثيق شرف للعاملين في الصحافة، سواء كانوا صحفيين محترفين أو نشطاء إعلاميين. وعلاوة على ميثاق الشرف الصحفي الخاص بالرابطة، والذي حاز على ثناء مسؤولين في نقابات أوروبية، ساهمت الرابطة في صياغة ميثاق شرف وقعته عشرات من التنسيقيات الإعلامية في سورية. كما أن الرابطة طرف أساسي في سلسلة ورش عمل تعقد حالياً لصياغة ميثاق شرف يضم مؤسسات إعلامية في سورية".

وعن مساهمة الرابطة الفعلية في محاولة حماية الصحفيين والناشطين الإعلاميين العاملين داخل سوريا من الواضح أن الرابطة لم تستطع فعل الكثير ضمن أجواء دولية، رسمية وشعبية، لا مبالية.. بل وقاسية، وعلى هذا فإن دورها قد اقتصر على الرصد والتوثيق، يقول فتوح:

- "ساهمت الرابطة في رصد الانتهاكات ضدّ الإعلام والإعلاميين في سورية عبر لجنة الحريات خلال الفترة الماضية. وقد أسست مؤخراً مركزاً للحريات الإعلامية يعمل فيه ثلاثة باحثين في غازي عنتاب، سيكون بمثابة نقطة تحول في نشاط الرابطة بهذا السياق، لأنه للمرة الأولى أصبح لدى الرابطة باحثون متفرغون لهذا الأمر. وقد عقدت الرابطة عدة ورشات تدريبية لصحفيين وناشطين من داخل سورية وخارجها حول قضايا أمنهم الشخصي والمعلوماتي، إضافة إلى مسألة توثيق الانتهاكات التي تستهدف الصحفيين. كما تدير الرابطة ورشة عمل مفتوحة على الانترنت تقدم النصح والدعم للصحفيين الشبان، بإشراف لجنة التدريب والتطوير المهني في الرابطة. كما ساهمت الرابطة في التعريف بواقع العمل الإعلامي ومخاطره في سورية عبر تواصلها ومشاركاتها في وسائل الإعلام والمحطات التلفزيونية".

افتتحت الرابطة مؤخراً مكتباً في مدينة غازي عنتاب التركية المحاذية للحدود السورية وذلك بهدف تعزيز تواصلها المباشر مع الداخل السوري كما يقول السيد فتوح، وكانت تسعى لافتتاح مكتب داخل سورية إلا أن تطورات الوضع الأمني لا سيما بعد سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) وتغلغلها في المناطق المحررة دفع لتأجيل الفكرة.

من البديهي أن تحاول الرابطة منذ نشأتها مساعدة الصحفيين السوريين المنتشرين في أنحاء العالم والأخذ بيدهم نحو التدريب والتوظيف اللائق في المؤسسات الإعلامية المختلفة إلا أن دورها لا زال مقتصراً في هذا المجال على التعارف والعلاقات الشخصية المتبادلة بين اعضائها، يقول فتوح: "بالرغم من أن الرابطة لم توظف سوى 5 من أعضائها (بدوام جزئي أو كلي) لأعمالها، إلا أنها في المقابل أتاحت الفرصة أمام الأعضاء لطرح خبراتهم وبالتالي إمكانية الوصول إلى فرص العمل المتاحة في المؤسسات التي يعمل فيها زملاؤهم، كما تسعى الرابطة لتوسيع نطاق التدريب لتغطي مجالات متخصصة في الصحافة".

أما على مستوى القضية السورية الكبرى فيقول فتوح "ان الرابطة تعتبر نفسها جزءا من منظومة الثورة السورية، وقد استغلت كل الفرص المتاحة أمامها للتعريف بالقضية السورية على الأقل عبر مدخل الشأن الإعلامي،.. وقد ساعدت الرابطة في الوقوف في وجه الحملات الإعلامية (في وسائل

الإعلام المصرية واللبنانية بشكل خاص) ضد السوريين. كما تتولى الرابطة رصد كيفية تغطية وسائل الإعلام الكبرى للشأن السوري وقد سبق أن أرسلت عدة رسائل لمحطات عديدة حول تغطيتها غير المقبولة بهذا الصدد". ويختم السيد فتوح حديثه بالقول: "لم تصل الرابطة لتحقيق جميع الأهداف المأمولة بسبب ضعف الإمكانيات المالية، حيث لم يكن لديها أي مورد مالي خلال سنتين تقريبا من عمرها، وقد أنشأت موقعها الالكتروني بتبرعات طوعية من بعض أعضائها. كما أن الرابطة لم تستطع حتى الآن تفعيل آليات تحصيل اشتراكات مالية من أعضائها بسبب عدم تمكنها من فتح حساب بنكي (لأسباب تخص البنوك) رغم أن الرابطة مسجلة في فرنسا".

قد يرى البعض أن على الرابطة وعلى الصحفيين السوريين عموماً تقع مسؤولية كبرى في نشر المعاناة السورية وتحريك الشارع الشعبي ومؤسسات المجتمع المدني تضامناً مع السوريين، فالألم السوري الذي فاق حدود التصور لم تواكبه مظاهرة شعبية واحدة في أي بقعة من العالم أسوة بغزة على سبيل المثال، ولم تحرك مؤسسات الصحافة العالمية ساكناً ضد قتل مئات الصحفيين والناشطين الإعلاميين أمام عدسات الكاميرا، ولم يهزها قتل الآلاف من المعتقلين المقيدين بدم بارد.. تعذيباً وسحلاً وتجويعاً..

إلا أن هذا الحكم الرائج لا ينطبق على الرابطة وحدها إنما على كافة المؤسسات والتنظيمات السورية المدنية والسياسية في الخارج، والتي لا زالت تتذرع، ربما بحق، بحداثة عهدها وبتصخّر الضمير العالمي. ربما على السوريين ومؤسساتهم الثورية الجديدة العمل أكثر، وربما يحتاج العالم أيضاً لربيع آخر لإعادة الاعتبار لعقله وضميره وقيمه المنسية.

انطباعات من الحرب الثالثة على قطاع غزة

ماجد كيالي

شنّت إسرائيل الحرب على غزة طوال قرابة شهر كامل، أي أنها طالت أكثر من حرب الأيام الستة، التي قضمت فيها أراضٍ من ثلاثة بلدان عربية، تزيد عن مساحتها بأضعاف، ومع ذلك ووجهت بمقاومة غير مسبوقة.

المشكلة، بالنسبة لإسرائيل، أن هذه الحرب هي الثالثة من نوعها ضد الفلسطينيين في القطاع، في ستة أعوام (الأولى أواخر 2008 والثانية أواخر 2012)؛ ما يفيد أن هؤلاء يستعصون على الكسر أو الإخضاع، وأنها تعجز إزاءهم.

الجدير بالذكر أن غزة ليست امبراطورية، ولا دولة قوية، بل إنها مكان صعب للعيش، بسبب مناخها، وندرة مواردها الطبيعية، وكثافتها السكانية، زد على ذلك خضوعها لحصار مشدد منذ سبعة أعوام، مع استهداف دائم من قبل الجيش الإسرائيلي، حتى البحر يكاد يكون محرّماً على صيادي غزة! تبلغ مساحة القطاع 360 كلم2 أي 1.33 بالمئة من فلسطين الكاملة، و 6 بالمئة من مساحة الدولة الفلسطينية المفترضة، وهو على شكل شريط ضيق على الساحل الجنوبي، طوله 41 كلم وعرضه بين 5 و15 كلم، يقطن فيه مليونا فلسطيني تقريباً، غالبيتهم من لاجئي 48.

في حساب النتائج، فقد نجم عن هذه الحرب الوحشية والعدوانية، والتي تركزت على المدنيين، مصرع حوالي 1900 من الفلسطينيين، منهم 400 طفل، وإصابة حوالي عشرة آلاف بجروح متفاوتة، علما ان 80 بالمئة من الضحايا من المدنيين، هذا اضافة إلى تدمير عشرات الوف من المنازل، وتخريب المرافق العامة، والبُنى التحتية، وضمنها محطة الكهرباء ومرافق المياه والصرف الصحي ومدارس ومنشآت للأونروا. بالمقابل أدت هذه الحرب الى مصرع 68 إسرائيليا منهم 63 عسكريا (بحسب المصادر الإسرائيلية) في حين أن احصائيات المقاومة الفلسطينية تقدر الخسائر بضعف العدد المذكور.

ثمة ثلاثة استنتاجات يمكن استخلاصها من مجمل السياسة الحربية الإسرائيلية، أولها، أن إسرائيل هذه التي يفترض أنها تأسست كملاذ آمن لليهود في العالم لم تعد كذلك، إذ إنها باتت أخطر مكان يمكن ان يتواجد فيه اليهود، بسبب السياسات التي تنتهجها حكومة إسرائيل، والحروب العدوانية التي

تخوضها بين فترة وأخرى. وثانيها، أن إسرائيل فقدت مكانة الضحية، في نظر الرأي العام العالمي، وباتت بمثابة دولة تمارس الإرهاب، وتسيطر على حياة شعب آخر بالقوة، وترتكب جرائم حرب ضد الفلسطينيين العزل من السلاح. وثالثها، أن صورتها كدولة رادعة، وكصاحبة الجيش الذي لا يقهر، انحسرت بدليل خوضها حوالى 14 حرباً منذ قيامها (1948)، وأنها لم تعد تلك الدولة التي يعتمد عليها كقاعدة لحماية المصالح الأميركية في المشرق العربي، بعد أن جاءت صواريخ «باتريوت» الأمريكية لحمايتها من الصواريخ العراقية (2001)، وبدليل عدم قدرتها على الاحتفاظ بأراض تحت سيطرتها، مع انسحابها الأحادي من جنوب لبنان (2000)، وقطاع غزة (2005)، وضمن ذلك إدراكها مخاطر معاودة احتلال غزة.

الواقع أن هذا المسار بدأ مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987. 1993)، التي طغى عليها طابع الكفاح المدني ضد إسرائيل بوصفها سلطة احتلال، إذ لم تعد إسرائيل في مكانة الدفاع عن النفس، ضد أخطار خارجية، ولم تعد في مواجهة جيوش نظامية. وفوق هذا وذاك فإن الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، هي التي أسّست لتغيّر صورة إسرائيل، ازاء العالم، بإظهارها على حقيقتها كدولة استعمارية واستيطانية وعنصرية، ما انعكس بمزيد من التعاطف مع قضية الفلسطينيين وحقوقهم، أكثر من أي وقت مضى. بل إن هذه الانتفاضة أسهمت في تغيير إدراكات الإسرائيليين لصورتهم، وعزّزت التناقضات في صفوفهم حول مواضيع شتى، وضمنها حول مسألة التسوية مع الفلسطينيين.

من جهة أخرى فقد روّج صمود غزة، وبطولات مقاوميها، لانطباعين خاطئين ومضرّين، أولهما، التصوير بأن حركة "حماس"، مع باقي الفصائل، باتت بمثابة جيش مع طائرات وصواريخ، وكأنها أضحت تشكل قوة موازية للجيش الإسرائيلي. والثاني، أن قطاع غزة بإمكانه التحول إلى منطقة، او قاعدة، عسكرية لتحرير فلسطين. طبعاً النزعة الأولى غير صحيحة، ومضللة، وتنطوي على مبالغة رغبوية لا تسهم في تكوين وعي مناسب لواقع القدرات الفلسطينية ومحدوديتها، ولا في تكوين صورة صحيحة عن قدرات العدو. أما النزعة الثانية، فهي تحمّل قطاع غزة الذي يقطن فيه مليونا فلسطيني تقريبا، في 1.3 في المائة من مساحة فلسطين، أو 6 في المائة من مساحة الدولة الفلسطينية المفترضة، عبء التحرير، وهزيمة إسرائيل، علما أن هذه القطاع محاصر ويفتقد إلى الموارد، ويعتمد في امدادات الكهرباء والمياه والطاقة على الدولة الإسرائيلية.

وربما ينبغي لفت الانتباه، أيضا، إلى أن هاتين النزعتين "الاحتفائيتين" تفضيان بدورهما إلى اشاعة توهم مفاده أن ثمة نوع من التكافؤ بين إسرائيل والفلسطينيين، ما يترتب عليه اضعاف الصورة عنهم كضحايا، وكمستضعفين، وبالتالي حجب صورة إسرائيل باعتبارها دولة استعمارية وعنصرية وعدوانية.

بديهي أن رواج انطباعات كهذه هو نتاج تلهّف الفلسطينيين، والعالم العربي، لأي انتصار على إسرائيل، ونتاج التعطّش لأي ضربة توجه لها، بيد أن ذلك قد يفيد في تقوية المعنويات وتعزيز روح الصمود والمقاومة، لكن فيما يخص استراتيجيات الصراع ضد العدو فإنها لا تكفي، إذ أنها لا تؤثر في معادلات موازين القوى والخطط العسكرية.

بل لعله من المفيد هنا لفت الانتباه إلى أن إسرائيل، مع تميّزها بترسانة عسكرية متفوقة، تمكّنها من مواجهة عدة جيوش عربية، فهي تتمتع أيضا بميزتين مهمتين، تشكلان قيمة مضافة لها، الأولى، وهي ضمانة الولايات المتحدة، والغرب، لأمنها ووجودها. والثانية، احتكارها التسلح النووي في المنطقة، ما يجعلها تهدد بما يسمى "الخيار شمشون"، أو "خيار يوم الدين"، في حال استشعارها بتهديد وجودي.

على ذلك فإن المقاومة الفلسطينية يمكن أن تؤلم إسرائيل، وأن تزيد كلفة وجودها، وأن تهدد استقرارها، لكن هزيمتها التاريخية، الكلية، أو الجزئية، تحتاج إلى عوامل أخرى، أهمها، تغير البيئتين الدولية والعربية لصالح الفلسطينيين، وتخليق جبهة عريضة من الإسرائيليين المعادين للصهيونية، ومن الذين يتعاطفون مع كفاح الفلسطينيين، وهذا ما يجب إدراكه أو تمييزه في غمرة الاحتفاء بصمود غزة.

في كل الأحوال، لا ينبغي تحميل فلسطينيي غزة أكثر مما يحتملونه، فهم يعيشون في سجن كبير، ويكابدون الضيم والحصار المشدد، ما يعني أن مجرد صمودهم، وتوجيههم ضربات قاسية لإسرائيل، حتى ولو كانت معنوية، هو أمر كبير، ويؤكد للإسرائيليين أن دولتهم لم تعد ملاذا آمنا، وأن روح المقاومة عند الشعب الفلسطيني لن تخمد.

نحن المصلوبون بالأمل

هالا محمد

أتت داعش أيضاً من فعس البوط الرياضي الأبيض ذاك، الذي هرس فيه الضابط في ذلك الفيديو القديم، ظهور السوريين المنبطحين أرضاً، في قرية البيضا ومدن وبلدات سوريّة أخرى.

ذلك اليوم تفرّجنا على العنف غير مصدّقين أنه يجرؤ على جرح عيوننا المسالمة المحبّة للحياة ولسوريا. على جرح الوحدة الوطنية والعيش المشترك أو العيش بالمعنى المجرد للعيش. وأتت داعش من ذلك الصوت القاتل، الصوت القتل، الذي يرتجّ فيه العنف بالخوف باللذة بلحظة السلطة المطلقة التي ستصل بعد لحظات إلى لحظة نشوة القتل. قتل السوري للسوري في مشهد حيّ أمام عدسات التصوير. كيف تحول السوري إلى قاتلٍ للسوري! قطيع من البشر تحوّل إلى قطيع من الذئاب تبحث عن رائحة الدم. في زمن كنا نحياه معاً في مكان اسمه الوطن.

أتت من رؤية الأطفال لأبيهم في فرجة الفعس الطويلة، في مسرح الشارع الحيّ، من صراخه صرخة صرخة حتى سلّم الروح. عرض مستمر حتى الموت. فرجة تماهت مع فرجة قطع الرؤوس أو الجلد في الرقة المحررة! المحررة من الكفرة بحسب داعش. أتت من فم الشهيد وهو يقبّل الصورة ويتلو صلاة القاتل: هذا ربيّ.

أتت مع حفل تعذيب حمزة الخطيب... وقطع عضوه... وبث برنامج في التلفزيون الرسمي، مع طبيب شرعي ذات يوم من 2011 ، قبل ظهور داعش والإرهاب والتطرف بزمن طويل ،أكد فيه الطبيب أن هذا الطفل إنما مات ميتة القدر.

أتت داعش من أظافر المرضة المصبوغة بالمانيكور التي كانت تحمل صورة الطفل بأطراف أصابعها، في ذات البرنامج التلفزيوني الرسمي . أتت من غرز أظافرها في شعر الطفل الأسود في الصورة... أتت داعش باليد الأخرى لذات المرضة وهي تمسّد حجابها بوجه وَرِع فوق صورة الطفل الشهيد ، كأنما تقسم أن الإعلام الرسمي صادق.

أتت من مسطرة الطبيب الشرعي التي أشار بها إلى وجه الصغير وجسده قطعة قطعة ....

أتت داعش من تعذيب غياث مطر الناشط السلمي الذي أهدى رجال الجيش والأمن وردة حمراء وماء، فأهدوه موتاً، يحيا بيننا ما حيت سوريا.

أتت داعش من أسماء السوريين السلميين في الهوية المدماة التي تعود وحيدة إلى البيت.

أتت داعش من الكذب الإعلامي الرسمي في أشهر الثورة السلمية الأولى... حين كان لا يزال بالإمكان إنقاذ سوريا. أتت مع كلّ رصاصة قناص. أتت مع الصمت العالمي، جواز مرورهم ومرور الموت إلى سوريا. أتت مع سوريين حولتهم آلة القمع إلى قتلة ! أتت داعش من الخوف المديد من الظلم... أتت من انتظار العدالة طويلا طويلا على عتبات البيوت دون أن تصل العدالة فوصلت الثورة... وفي الغبار الذي لحق بالثورة وصلت داعش ومن معها... أتت من حصار الجوع والعطش والحياة.

أتت من الإعلام الرسمي الذي امتهن آلام السوريين، وأهانهم، حتى أن بعضا منهم صار مدجناً في آلة القمع وصار البطش مرآته في الطرف الآخر من المرآة إن هو نظر !

تداخلت داعش والكتائب المسلحة الغريبة عن سوريا في أوركسترا الظلم التي لا يستطيع الخيال ولا العقل الإحاطة به.

أتت داعش أيضاً لتخريس الثورة ! . الثورة عورة.

فكانت كل أنواع الجريمة والعقاب..

جاءت داعش من دروس الديانة وحلقات التدريس الشرعي الحاضّ على العنف والقتل وعدم قبول الآخر وفضائل الجهاد المقدس في كل بقاع الأرض.

جاءت داعش... من داعش.. من التخلف في أصقاع العالم الإسلامي وصحرائه الشاسعة. من استسهال سفك الدماء بإدعاء الدفاع عن الله وشرعه. فكانت داعش التجسيد الحقيقي لعملقة دور العنف والتخلص من المختلف الآخر، وخاصة الثائر السلمي، الذي أعلنت تكفيره بسبب مطالبته بالحرية والكرامة، فكان هدف الطرّفين معاً، اللذين التقيا على خنق الثورة السلمية وتحويل البلاد إلى فوضى التهجير والقتل والدمار والعدم. ثقافة العدم والطاعة هي ثقافة التطرّف.

جاءت داعش متأبطة حدّ السيف، حلمها رأس حضارة بلاد الشام... كما كان حلم إسرائيل ابتلاع فلسطين...

ونحن لدينا زاد من الحكايات والأغاني يكفي لأكثر من حياة..

نحن المصلوبون بالأمل .

عن الهدن.. والمصالحات

أوس المبارك

في المليحة يأتي ضابط من قوات النظام ليحاور ثوارها ثم يعود إلى موقعه على خط الجبهة المقابل. في المعضمية يُرفَع علم النظام على أعلى مبانيها. في يلدا وببيلا نرى أحد مقاتلي الثورة يقف بين قوات النظام التي تدخل بسلام إلى منطقته ويدلي بتعليق لمذيعة قناة الدنيا الموالية. في برزة حاجز مشترك لقوات النظام وثوارها. ثوار آخرون يسلمون أنفسهم و"يُسوُّون أوضاعهم". ماذا نسينا بعد؟...

نالت تلك المشاهد والقصص التي حُمِّلتْ بوادرَ لنهاية الخيار العسكري للثورة نصيباً وافراً من نقاشات السوريين والمهتمين بشأنهم وما قد تؤول إليه نتائج هكذا "أحداث". وأياً تكن مقاربات تلك المشاهد من وجهات نظر غير المنحازين إلى الثورة، إلا أنها نَشرتْ بالفعل بين أوساط المنحازين إليها إحباطاً وتخوّفاً من إجهاز النظام على الثورة، خصوصاً أن تلك المشاهد والأخبار أتت بعد انكفاء الثوار عن تحقيقهم لانتصارات جديدة واسعة وتوقُّف تقدمهم باتجاه دمشق وباقي المدن الكبيرة، ووقوعهم تحت حصارات محكمة.

كما أنها بدرجة أقلَّ نشرتْ تفاؤلاً بين من يريد القول إنه على الجميع أن يدركوا أنهم إخوة! وبعد مرور فترة ليست بقصيرة على عقد آخر تلك الهدن والمصالحات في دمشق وريفها –ورغم أنّ هناك أحاديث حول هدن ومصالحات جديدة كعربين مثلاً – أصبح بالإمكان أن نرصد ما آلت إليه الأحوال في تلك المناطق التي "هادنت" و"صالحت": المليحة خاضت معارك من أشد ما عرفته الثورة. يلدا وببيلا والمعضمية والقابون وبرزة وباقي المناطق المعنية ما زالت خالية من أي قوات للنظام ويسيطر عليها الثوار ويستمر فيها العمل الثوري. كما أن أحوالها تكاد لا تختلف عما كانت عليه قبل عقد تلك الهدن والمصالحات. ما الذي حدث إذن؟

إن أدنى ما يمكن توصيف الهدن والمصالحات به هو الهشاشة الميدانية واستثمار النظام لها إعلامياً لتصديرها إلى مناطق أخرى من مناطق سيطرة الثوار في عموم سوريا، وكذلك لتجييرها دولياً، حول اقترابه من حسم المعركة لصالحه.

وليس "وهماً ثورَجِيّاً" أن نقول أن لا حدثَ يستحق التعويل عليه أو التخوّف منه ضمن تلك الهدن والمصالحات. فشعار (لا تراجع) ليس مزاودة ولا ضرباً من الحفر بالصخر. إن الشعب السوري الذي ثار على أحد أكثر الأنظمة طغياناً يعلم تماماً أيَّ محرقة سيرمي نفسه بها إن رضي بـ"تسوية" أو "مصالحة" مع هذا النظام. ولن يرضى بأقلَّ من إسقاطه كاملاً، بالخيار العسكري... أو بغيره.

الجريمة اللعنة .... رزان زيتونة !

بسام الأحمد *

تذكر كتب التاريخ العديد من الحوادث التي شكّلت منعطفات مهمّة في ثقافة مجتمعات عديدة وبلدان مختلفة، ومع دوران عجلة الزمن اكتسبت تلك الحوادث دلالات معنوية معينة، بعد أن كثر استخدامها في سياقات تاريخية واجتماعية أعطت الحوادث بعداً رمزياً ومدلولات معينة، ولعلّ معظمنا قرأ في كتب التاريخ عن الحادثة المشهورة التي أدت إلى مقتل الأمام الحسين وابن عمّه في مدينة الكوفة العراقية، وما نتج عنها من فتن واضطرابات غيرت بعض ملامح الأمّة الإسلامية إلى يومنا هذا، وقد ذكر بعض المؤرخين كيف إنّ الأمام الحسين وأثناء رحلته المشهورة من مكّة باتجاه العراق صادف الفرزدق الذي حذّر الحسين من مغبة سفره إلى العراق وقال قوله المشهور: "أنّ قلوب الناس معك لكنّ سيوفهم مع بنّي أمية" للدلالة على احتمالية خذلان أهل الكوفة له وهذا ما حدث لاحقاً.

لم تكن هذه الحادثة هي الأولى – كما إنّها لم تكن الأخيرة – والتي صُبغت بلون معين، وتحولت إلى مضرب للمثل في العصور اللاحقة وخاصة عند وقوع حوادث أو جرائم مشابهة أو قريبة لها، إضافة إلى كونها أصبحت وسيلة في إيصال رسائل محددة لغايات وعبر معينة، ولكن هذه الحادثة وغيرها وبمجرد التمعن فيها قليلاً تحلينا إلى العديد من الجرائم المشابهة التي ارتكبت خلال الثورة السورية، ولو أنّ العوامل الموضوعية للعديد من الحوادث التاريخية غير متوافرة في بعض الحوادث التي شهدتها الثورة، إلاّ أنّ الأخيرة وبحكم كونها شكلت طفرة في تاريخ الدولة السورية الحديثة، جعلت الجرائم التي ترتكب فيها وباسمها أو باسم الدين – وخاصة ضدّ أبنائها – لعنات سوف تلاحق مرتكبيها إلى عقود عديدة قادمة، أمرّ تلك الأفعال وأشنعها كانت حادثة خطف إحدى الوجوه الجميلة وإحدى رموز ثورة الكرامة وهي المحامية رزان زيتونة، وزوجها وائل حمادة وسميرة الخليل وناظم حمادي.

شكّلت حادثة الخطف صدمة كبيرة لعدة أسباب، لعلّ أهمها استهداف إحدى أبرز وجوه الثورة السورية، هذا أولاً، وثانياً وقوعها في منطقة خاضعة لسيطرة القوات "المناهضة" للنظام، وثالثاً أنّ طبيعة النشاط الثوري الذي كانت تقوم به رزان وزملائها لعب دوراً كبيراً ومهماً في تاريخ الثورة السورية، فعمل رزان ومن خلال تأسيسها لمركز توثيق الانتهاكات في سوريا لم يكن مجرد عملية توثيق دقيقة ويومية لمعظم الانتهاكات الواقعة في سوريا فحسب، بل كانت بمثابة تأريخ لأكثر الأحداث بروزاً في تاريخ الدولة السورية الحديثة، وقد جاء إدراك ووعي رزان لأهمية هذا العمل نتيجة باعها الطويل في هذا المجال، فهي التي بدأت بتوثيق أسماء المعتقلين والشهداء – انتفاضة القامشلي/ قامشلو مثلاً – منذ ما لا يقل عن سبعة سنوات قبل اندلاع الثورة، والملفت الآخر في طريقة عمل رزان زيتونة هي محاولاتها الحثيثة في الموائمة ما بين تقديم دلائل ومواد قانونية تحاول من خلال إدانة المنتهكين وعلى رأسهم النظام السوري بجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وبناء جسور من الحقيقة ما بين زمننا الحاضر والمستقبل المنشود، في سبيل تقديم أكبر قدر من المعلومات والتوثيقات في فترة العدالة الانتقالية في سوريا بممارساتها العديدة منها: البحث عن الحقيقة وجبر الضرر والتعويض والمحاكمات الجنائية والإصلاح المؤسساتي.

وإلى يوم حادثة خطف رزان زيتونة بتاريخ 9-12-2013 استطاع المركز – الذي كانت تشرف عليه – توثيق عشرات الآلاف من أسماء لضحايا تمّ انتهاك حقوقهم وعلى رأسها حق الحياة، كما واستطاع المركز إلى جانب ذلك من تدريب وتأهيل عشرات الكوادر الناشطة داخل وخارج سوريا على توثيق انتهاكات حقوق الإنسان، علاوة على الإسهام الكبير في نشر ثقافة حقوق الإنسان في سوريا، وفي جميع تلك الحالات كانت رزان تحاول المزج ما بين العلم والفن، منطلقة من القواعد الأساسية والمعايير الدولية في توثيق انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا وكانت في نفس الوقت تطعمها بالفن الذي لعبت خبرتها الطويلة دوراً أساسياً ومهماً فيه، لكن جريمة الخطف التي حدثت في عقر دار العديد من الكتائب "المعارضة" للنظام جاءت كضربة غادرة للثورة السورية وانتكاسة للعمل الحقوقي في سوريا ولعل توقيت الحادثة – قبل يوم واحد من اليوم العالمي لحقوق الإنسان – لم تكن محض صدفة وأظنّها جاءت عن سابق إصرار وتصميم، وفي ظل هذا النزاع المسلح الدائر فهي تعتبر جريمة حرب، إضافة إلى كونها لعنة ووصمة عار سوف تلاحق المنفذين والمخططين والممولين والساكتين عنها، وهي لا تقل شناعة عن آلاف اللعنات التي تلاحق آل الأسد ونظامه وشبيحته وداعميه وممولية بدءاً من إيران ومروراً بميليشيا حزب الله والميليشيات الشيعية العراقية وانتهاء بروسيا البوتينية.

آه يا رزان لوكنت أملك الشمس بيدي، لجعلت الكون يضيء كلّه، وأبقيت على البقعة التي يعيش فيها خاطفوك ظلماء سوداء أبدية، فهم أبناء الظلام الذي يزيد قبح وجوههم قبحاً، كوجوه أسيادهم.

×المتحدث باسم مركز توثيق الانتهاكات في سوريا

Hani Abbas

تتمة من الصفحة 3

حول المصالحة

1 - وقف الأعمال القتالية من طرف واحد في جميع الأراضي السورية.

2 - وقف كافة عمليات الملاحقة والاعتقال للمواطنين على الحواجز، وتوظيف الحواجز المنتشرة التي تقطع الطرق بين المدن، لإعادة ترميم العلاقة بين المواطنين والجيش التي تخربت عبر السنة الماضية.

3 - إطلاق سراح كافّة المعتقلين على خلفية مشاركتهم في الثورة.

4 - الدعوة إلى مؤتمر وطني عام لا يستثني أي اتجاه سياسي. يكون من مهامه تشكيل حكومة وحدة وطنية بصلاحيات كاملة.

5 - إعلان الرئيس استعداده لتسليم الحكم لحكومة الوحدة الوطنية بضمانة طي الماضي ضدّه وضدّ رموز النظام.

6 - الإعلان عن إقامة نوع من العدالة الانتقالية لإعادة تزييت العلاقة التي تضررت، وردم الشقوق التي حصلت بين السوريين خلال العام الفارط.)

هذا الكلام كان يسمع باحترام ويقابل بصمت ولم يتجرأ أحد على مناقشته، والسبب فيما أعتقد كان غياب معنى الوطن والمواطنة، واعتراف ضمني بحالة المزرعة في سوريا، ولذلك فأي حديث عن تخلي بشار الأسد عن السلطة غير قابل للتداول. فطبيعة النظام تحول بينه وبين القدرة على التعاطي مع مطالب الشعب وحتى رؤيتهم، ولذلك حتى تاريخه لم يتمكن النظام من الاعتراف بأي نوع من المعارضة، إلا مرتزقته التي صنعها وطلاها بطلاء المعارضة. وإلى الآن لا أحد يعرف مصير المعارض الوطني عبد العزيز الخير ولا رجاء الناصر ولا العديد من رموز هيئة التنسيق التي رفعت شعاراتها الثلاث وتمسكت بها بطريقة صنمية، حتى لا يتسنى للنظام توجيه أي اتهام لها. ومع ذلك لم يتعامل معها النظام كمعارضة سياسية ولم يدعها للمشاركة في أي حالة وطنية، بل وضعها بين خيارين: إما الخضوع أو النبذ أولاً والملاحقة تالياً. ولما لم يستطع إدانتها بدأ بتصفية رموزها الواحد تلو الآخر.

إن نظاماً يطلب من المعارضين توقيع تعهد بترك السياسة، وهم رهن الاعتقال أو تحت التهديد بالاعتقال والتغييب، هو نظام يكره السياسة ولا يستطيع أن يمارسها ولعبته الوحيدة التي أتقنها منذ أربعين سنة هي الحرب على الدولة والمجتمع.

إذاً فالمصالحة لا تتفق مع بنية النظام ولا مع طبيعته، وهي كذلك لا تتفق مع بنية الثورة وطبيعتها. فماذا تعني المصالحة بالنسبة لثائر لم يعترف به ولا بثورته حتى الآن، ويتمّ تجاهل وجوده ومطالبه حتى الآن؟!

إن الذي يقدمه النظام حتى الآن لا معنى له في السياقات الوطنية الإنسنية، فهو نوع من القبول لتوبة العبد الآبق بعد أن رجع نادماً مستغفراً

إن الذي يقدمه النظام حتى الآن لا معنى له في السياقات الوطنية الإنسانية، فهو نوع من القبول لتوبة العبد الآبق بعد أن رجع نادماً مستغفراً وقد أعجزه أن يجد ما يسدّ به رمقه ويشبع به جوعته بعد أن طرده سيده من فردوسه الذي كان يؤمن له فيه الطعام والشراب.

ولا أرى للمصالحة من معنى في سياق الثورة إلا الذي نشرته سابقاً: ...وهي بالنسبة للثوار اعتراف يائس بعبثية الحرب وانسداد آفاقها، وعلى مستوى الرؤية هي تشوش وضياع، فالثورة لا تعرف الهدن، والحدث الوطني لا يقبل التجزئة.

لم يخرج الناس في آذار 2011 من أجل الخبز والمحروقات فقد كانت متوفرة، بل خرجوا من أجل الحرية والكرامة، وهاتان قيمتان لم يعترف بها النظام حتى اليوم، فلا مكان للمواطنين الأحرار في عرف النظام وسلطته، بل (حضن الوطن) مفتوح للعبيد الذين يأكلون ويشربون ويسبحون بحمد الفرعون، ويتقبلون مكرماته ويهتفون باسمه للأبد ويقدمون أولادهم قرابين بشرية (فدا صباطه)!!

كلمة أخيرة :

إن نظاماً يحاول أن يستعيد شرعيته التي جُرحت بل تمزقت بالبراميل ومنع لقمة الخبز ووقود التدفئة هو نظام غير قابل للحياة ولا فرص له في البقاء، وهو يحاول بشتى السبل أن يؤخر لحظات سقوطه الوشيكة (بالمصالحات) و(الهدن).

عزمي بشارة

ثلاثة أمور صعقتني بالأمس حين رأيت في نشرة الأخبار شريطا عن القصف المزدوج في دوما، اي قصف الشارع، ثم قصف سيارة الإسعاف التي حملت الجرحى والقتلى والشباب الذين كانوا يمدون يد العون: 1. أنه في البيوت المهدمة تماما، وبين الأنقاض يعيش بشر حتى الآن. 2. أنه خرج منها صبية شاهدوا الأشلاء ثم صاروا أشلاء، وخرج صبية آخرون وشاهدوا أشلاءهم. 3. ان السوريين ما عادوا يصرخون؛ رأيت رجالا يقتربون من سيارة الإسعاف المحترقة بصمت يرفعون عن الأرض جثث من حملوا الجثث الأولى للمرة بصمت.

رباب الكاري:

بتنزل القذيفة على بعد أمتار، والناس بتكمل طريقها.. عادي .. والسيارات والباصات بتكمل طريقها ولا كأنو في شي..عن جد نحنا شعب كتير ظريف..

كنت عم دور على مدخل بشي بناية، حتى أتخبى من القذيفة التانية..

رجّال ظريف كان عم يسحب مصاري من الصراف الآلي، دار وجهه لعندي وقال:

– كملي عمي طريقك، المسلم الله..

وبكمل طريقي وأنا ما بعرف هدا شو اسمو تعوّد ولا ايمان.. وبشو ما بعرف..؟

2014